هدايات الإعجاز العلمي لآيات ما في الأرحام، في دعوة العقل إلى الإيمان بالله، وما تبعه من معتقدات

إعداد

مسعي مباركة

بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس ٨).

نظمه مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا، بالشراكة مع: كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى.

الأربعاء والخميس ٥- ٦ ربيع الأول ١٤٤٠هـ، الموافق ١٤- ١٥ نوفمبر ٢٠١٨م.

ماليزيا- كوالالمبور

المقدّمة

– خلق الله كلّ المخلوقات لغاية واحدة وهي عبادته، وذاك ما أقرّه في قوله سبحانه: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(١). ولذلك استخلف النّاس في الأرض، ولكنّ عبادة الإنسان لله تختلف عن عبادة باقي المخلوقات؛ إذ جعل للنّاس عقولا ليدركوه بها اختياريّا، ويجتهدوا بها في طاعته، فيرتقوا بذلك في أعلى الدّرجات، ولكنّ في نفس الوقت فإنّ الإنسان قد يدنو من أدنى الدّركات، فلماذا ذلك يا ترى؟

– والجواب يكمن في كون اجتهاد الإنسان ليس دائما صحيح، لأنّ مدارك العقل البشري ومعارفه نسبيّة، وهو نزّاع إلى التّطوّريّة، وكذلك القلب البشريّ تبدّلي من حال إلى حال، فهما لا يستقرّان على قرار، فإذا تدعّمت هاتين الصّفتين "التّبدّليّة والتّطوّريّة" بحبائل الشّيطان وتحريكه لنزوات النّفس، صار اجتهاد العقل جدلا غير معصوم من الزّلل، كما نجد ذلك في قوله سبحانه: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيد)(٢)، وعندها فإنّ واجب العبادة لابدّ أن ينحرف عن الطّريق المستقيم، ولكن هل يترك الله مصير الإنسان الأبديّ عرضة لزلاّت قلبه وعقله؟

– والجواب لا بالتّأكيد، فلقد أنزل الله الرّسالات السّابقة لتقويم وإعادة العقل والقلب إلى ربّهم، واستعمل أساليب التّبشير والتّهديد عبر التّذكير القصصي التّاريخيّ كما في قوله: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)(٣).

– لكن الجدل البشري العقيم تجاوز ما في القرون الأولى من بصائر، وأزال الرّسالات عن نهجها القويم كما في قوله سبحانه: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ)(٤). فأنزل سبحانه الرّسالة المحمّديّة ليعيد النّاس إلى حضيرة عبادته، وزيّنها بخاتمة الكتب "القرآن"، وذاك كما في قوله سبحانه: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)(٥)، وبذلك جعل الله هذا المقصد أعصى على الإزالة.

– والمقصد الأقوم الذي يهدي إليه القرآن هو نفسه مقصد الرّسالات التي أزيلت؛ أي العبادة، فكيف يكون هذه المرّة أعصى عن الإزالة والتّحريف؟ إلاّ أن يكون الله قد دعم القرآن بنوع جديد من الدّعائم الهدائيّة، وهي بصائر من نوع جديد تبصّر أبصار النّاس وأسماعهم بالحقيقة الإلهية، وبالشّريعة المحمّديّة الصّحيحة، وهذه البصائر هي الإعجاز القرآنيّ بأنواعه كما نجد ذلك في قوله سبحانه: (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا)(٦).

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الحجّ، الآية: ٤.

(٣) سورة القصص، الآية: ٤٣.

(٤) سورة الحج، الآية: ٨.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤.

– ومن هذه البصائر الهدائيّة نجد الإعجاز العلميّ، والذي من أقوى مواضيعه قصّة "الخلق في الأرحام"، وقد دعا الله بها النّاس للتّفقّه في دينهم، وأتّخذها وسيلة هداية لمن ظلّ أو من أصابه الشّك والرّيب، كما أتّخذها وسيلة تأنيب وتقريع لمن آثر الكفر والعصيان.

– كما أنّ الله تدرّج في أقناع النّاس بواسطة الهدايات الإعجازية الرّحميّة مبتدئا بوجوب طلب العلم، ثمّ متدرّجا إلى إلى الدّعوة إلى توحيده والإيمان برسله وكتبه واليوم الآخر ...، ثمّ دعاه إلى القيام بالأعمال الخيريّة، وبشّر أهلها بالجنّة، وقرّع بعدها المعرضين عن ربّهم، ثمّ هدّد المؤثرين للكفر، وقضى عليهم بالعذاب وللبحث في الموضوع نحاول الإجابة على الإشكاليّة التاليّة: كيف يقنع الله عباده بعبادته وما تبعها من معتقدات بواسطة الهدايات الرّحميّة؟

معنى الهداية

– الهداية مشتقّ من هدى، يهدي وهداية، وهداه تعني أرشده ودلّه، وهداه الله إلى الإيمان: أرشده إليه(١)، و الهدى هو الرَّشادُ وضدّه الضّلال، وقد خصّ سبحانه نفسه بمطلق الهداية، فجعل من أَسمائه الهادي، وفي ذلك قال ابن الأَثير: هو الذي بَصَّرَ عِبادَه وعرَّفَهم طَريقَ معرفته حتى أَقرُّوا برُبُوبيَّته(٢)، وقولنا وَجَدَ فِي ذَلِكَ هِدَايَةً يعني وجد الدَّلاَلَةُ عَلَى مَا يُوَصِّلُ إِلَى الْمَطْلُوبِ(٣).

– والدّلالة هي المعنى الذي تؤدّيه الهداية في هذا البحث، حيث تكون الهداية الإعجازيّة الرّحميّة بمثابة الرّسالة أو البصيرة التي يبعثها الله .لعباده كي تدلّهم عليه، وعلى ما يريدهم أن يؤمنوا به، وقد فعل ذلك سبحانه بتدرّج منطقيّ يراعي خصائص الإنسان الفضوليّة .

أ – البداية، التّدبّر والتّعقّل

– خلق الله الإنسان مختلفا عن باقي المخلوقات، وذلك لاختلاف الوظيفة، فوظيفة الإنسان الاستخلافية تتطلّب جهازا يسمّى العقل، والذي من صفاته الفضول وحبّ الاكتشاف، وذلك عبر التّدبّر والتّعقّل والتّعلّم، وكلّ ذلك من أجل تطوير الأمور واختراع الجديد، للوصول إلى الأخذ بالأسباب وبناء المحيط، وذلك سوف يكون بادئا ذي بدأ بتفعيل الفضول العقلي من أجل اكتشاف الذّات الإنسانية أوّلا.

(١) https: //www.almaany.com/a معجم الرائد.

(٢) https: //www.almaany.com/a معجم اللغة العربية المعاصر.

(٣) https: //www.almaany.com/a المعجم الوسيط.

١ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة الدّاعية إلى طلب العلم

– إنّ أوّل هداية رحميّة افتتح بها الله رسالته الخاتمة لم تكن دعوة الإنسان للتوحيد أو دعوته للإيمان أو العمل الصّالح، إنّما كانت دعوة للإنسان كي يفتح سمعه وبصره فيري حقيقة نفسه، لأنّ الذي لا يعرف نفسه، وأنّه مخلوق ضعيف خلقه من هو أقوي منه، لا يمكن أن يدرك ما يجري في محيطه، ولا أن يصدّق رسالة ولا رسل، ولا يفهم كنه التّوحيد والنّبوّات، وستظلّ أعماله السّبيل نتيجة ظلال اعتقاداته، وقد ذكر سبحانه ذلك في أوّل سورة نزلت على الحبيب المصطفى ﷺ في غار حراء في قوله: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)(١). وقد ربط سبحانه ذكر العلق في بداية السّورة بذكر النّاصية الواردة في نهاية السّورة، على أساس أنّ النّاصية هي موطن الإرادة والاختيار(٢)، وذلك دليل على ضرورة تفقّه الإنسان في نفسه ومكوّناتها حتّى يمكنه معرفة موجدها.

٢ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة الدّاعية إلى تفعيل العقل وتعقّل المحيط

– والعلقة هي التطوّر الأوّل في حياة الإنسان بعد الامتشاج النّطفي، ولذلك، فرغم صغرها يكون طورها هو بالتّأكيد فترة زّمنيّة من عمر الإنسان يتفعّل فيها جهازه العصبيّ الحامل لعقله(٣)، ليعرف بعدها بواسطته أنّ الإنسان لم يُوجد نفسه، ولا وجد من عدم، ومن ثمّ يتساءل عمّن أوجده، وقد جعل سبحانه وسيلة تفعيل العقل هي القراءة والتّنقيب والبحث والتّشريح للعلقة التي نُوجد منها، وبالتّالي عن كلّ طور قبلها أو بعدها، ونجد ذلك في قوله سبحانه: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(٤).

– وهكذا يعلّمنا الله سبحانه أنّ دلائل وجوده موجودة في أنفسنا، فهو الذي أوجد الإنسان من تراب، ثمّ بثّ الحياة في ذرّات ذاك التّراب، ثمّ جعله نطفة فطفلا ... وهكذا، وبالتّأكيد يكون هذا الذي يبدأ الأشياء ويغيّرها، حسب قدره وإرادته التي أرادها، موجود فعلا.

ب -الإلهيات

(١) سورة اقرأ، الآية: ١– ٢.

(٢) org.eajaz.ww دراسة بعنوان الناصية ووظيفة الفص الجبهي للدماغ.. دراسة إعجازية لسورة العلق للدكتور محمّد يوسف سكر.

(٣) org.eajaz.ww دراسة بعنوان وصف التخلق البشرى...طورا العلقة والمضغة، للبروفيسور/كيث مور.

(٤) سورة غافر،، الآية: ٦٧.

١ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة لتوحيد الذّات الإلاهيّة

– إنّ الله هو الذي خلق الإنسان، وهو خير من يعرفه، فالإنسان من طباعه ضرورة التّدرّج في المعرفة ليتقبّلها، ولذلك أنزل الله القرآن منجّما، وهو نفس المنهج الذي يتّبعه في إقناع عباده بدينه، حيث ابتدأ بذكر نعمة الخلق من العلق وحده من أجل إدراك وجود الله، أمّا وقد عرف الإنسان ربّه، فإنّه لا بدّ من أن يلتزم، ولصعوبة هذا الالتزام، فلابدّ من ذكر عديد النّعم ولذلك ذكر قصّة الخلق التي توحّد ذاته وحدها كما في قوله سبحانه: (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(١)، أي يجعل هذا ذكراً وهذا أنثى، وهذا أسود وهذا أحمر. يعرّف عباده بذلك أن جميع من اشتملت عليه أرحام النّساء ممن صوّره وخلقه كيف شاء(٢)، وبيّن فيها أنّه أن أمر الصّورة التي سيخرج بها ابن آدم من رحم أمّه ويعيش بها حياته، هو في الأصل صنيعته، وتابعة لمشيئته.

– وكما دلّل سبحانه عن وحدانيّته بقصة الخلق في الأرحام مفردة، دلّل بها سبحانه مع غيرها ليدعم أثرها الإقناعيّ، ومن هداياته الإعجازيّة التي دعم بها سبحانه رسالة الخاتمة دعوة رسوله ﷺ للنّاس ليفردوا ربّهم بالعبادة، وينتهوا عن الشّرك به هي عمليّة خلق كلّ النّاس من نفس واحدة، ثمّ استيداعهم واستقرارهم لشهور وقبلها لقرون متقلّبين بين الأصلاب والأرحام، وذاك في قوله سبحانه (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)(٣).

– ورغم هذا التّفرّد بعمليّة الخلق يصفون له الشريك من زوجة وولد ...، فيردف آيات النّفس الواحدة، بتأكيده أن ذلك خطيئة لا يغفرها الله وهي ظلم كبير، فيقول سبحانه (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ)(٤).

– ويخلص الله سبحانه بعد عرض هذه اللوحات الهدائيّة الإعجازيّة الرّحميّة وغيرها، إلى تنزيه نفسه عن الشّريك، وإلى توحيد الذّات الإلهيّة ممّا وصفت به من تثليث وغيره في ذاته سبحانه، فيقول: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(٥)

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦.

(٢) تفسير جامع البيان في تفسير القرآن/ الطبري ت ٣١٠ هـ موقع التفسير.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٠.

(٥) سورة الأنعام، الآية: : ١٠١– ١٠٣.

٢ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالرّبوبيّة

- بعد ما عرف الإنسان نفسه واستطاع أن يشعل فتيل تفكيره في ما حوله، وأدرك أنّه مخلوق والله الموجود فعلا، هو خالقه، صار لزاما عليه معرفة ربّه القائم على خلقه، وتوحيده، ولقد ذكر سبحانه قصّة الخلق في الأرحام كدليل على ربوبيّته ووحدانيّته ، وتفرّده بالخلق دون غيره، وكدعوة للالتزام بذلك وعدم الانصراف إلى غيره، وذلك في قوله سبحانه: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)(١).

٣ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة لتوحيد الصّفات الإلاهيّة

- وهناك كثير من ذوي الحجى ممن تسعفهم عقولهم في استنباط التّوحيد الذّات الإلاهية، ولكنّها تعشو عن إفراده بصفات الكمال، فتعتقد النّفع والضّرر في غيره من المخلوقات كالشّمس والقمر ...، أو تنكر عن الله الكمال الصّفاتي، وتعتقده في غيره، فيعلنها سبحانه صراحة أن لا يُطلب النّفع من غيره، ولا يُخصّ بذلك غيره، لأنّه هو النّافع الضّار، فلما يعبد غيره، وإذا كما أنّ الله الوحيد القادر على تحويل الماء، ذلك التّركيب البسيط، إلى بشر، وبثّ الأنساب والأصهار منه، فهو أيضا الوحيد الذي ينفع ويضرّ، ويعطي أو يأخذ ...، ونجد ذلك في قوله سبحانه: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا)(٢).

- ويقول بن كثير في ذلك: فهو في ابتداء أمره ولد نسيب، ثم يتزوج فيصير صهراً، ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات، وكل ذلك من ماء مهين(٣)، إذا كيف يعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم، فتجلب إليهم نفعاً إذا هم عبدوها، ولا تضرّهم إن تركوا عبادتها، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا كفاء لأدناها(٤).

٤ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بهيمنة الله العلميّة

- إنّ الله سبحانه يعلم أنّ النّفس البشريّة ميالة إلى التّفلسف وتأويل الأمور بأشكال مغايرة، ولذلك سيكثر جدل الإنسان ليصدّق نفسه، فلا يكتفي سبحانه بعرض خلقه للإنسان في الأرحام من ماء ومن علق ...؛ بل يفصّل له أكثر؛ فنفهم من آياته التساؤل التّالي، أرأيت أيّها الإنسان؟ فحتى الماء الذي خلقت منه، فهو في الأصل ماء مهين لا يملك القدرة على الحركة أو التّخلّق ...، ورغم ذلك

---

(١) سورة الزّمر، الآية: ٦.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٤- ٥٥.

(٣) www.altafsir.com/Tafasir تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ت ٧٧٤ هـ.

(٤) www.altafsir.com/Tafasir تفسير جامع البيان في تفسير القرآن/ الطبري ت ٣١٠ هـ.

الضّعف فقد قوّاه الله وخلقته نطفة وعلقة ومضغة ... ثمّ أكرمه بنفخ روح آدميّة فيه، ودعمها بجهاز الإدراك، والذي هو السّمع والأبصار والأفئدة(١) تعقلون بها الخير من السّوء(٢) .و من تمام علمه ومعرفته، ورحمته بمن خلق، جعل ذلك في أحسن تصوير، ونجد تصديق ذلك في قوله سبحانه: (ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ)(٣).

ج - النّبوّات

١ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالأنبياء والرّسل

- وما دام أنّ الله قد أقنع النّاس بألوهيّته وبربوبيّته ووحدانيته، فإنّ الوضع قد استتبّ كي يعبد بين السّماء الأرض، ولكن الأمر لن يسلم من الجدل، ولذلك بعث الله الأنبياء والرّسل كي يعيدوا النّاس إلى جادّة الطّريق، ولكن النّاس سينكرون عنهم الوحي والرّسالة لاشتراكهم معهم في البشريّة ...

- ولذلك نجده سبحانه، وليقنع النّاس برسالة حبيبه المصطفى يعرض عليهم مسيرة نوح وكثير من الأنبياء بعده، لكنّه يمهّد لذكر مسيرتهم البشريّة المعصومة بتفصيل واسع في ذكر أطوار الخلق في الأرحام، ليبيّن للنّاس أنّني كما استطعت أن أحوّل لطّين إلى نطفة، ثمّ أحميها في قرار إلى حين تحوّلها إلى علقة ثمّ أشكّل أجهزتها فعظامها، ثمّ أجعل لها عضلات وجلد، ثمّ أنفخ فيها الرّوح ....، إنّني كما فعلت ذلك يمكن أيضا أن أصطفي بعض البشر، وأعصمهم وأجعلهم أنبياء ورسل، ونجد ذلك في قوله سبحانه: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)(٤). ثم قال سبحانه، بعد ذلك: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)(٥).

---

(١) org.eajaz.www/ دراسة بعنوان الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر والفؤاد، بقلم د. صادق الهلالي.

(٢) www.altafsir.com تفسير جامع البيان في تفسير القرآن/ الطبري ت ٣١٠ هـ.

(٣) سورة السّجدة، الآية: ٦- ٩.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٢- ١٤.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١٢- ١٤.

٢ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان باليوم الآخر

-من أشدّ الحقائق التي أنكرها النّاس، وكذّبوا فيها الأنبياء هي حقيقة البعث، وقد ورد ذلك كثيرا في القرآن كما في قوله سبحانه: (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا)(١)، فأخذ الله يربط في كلّ مرّة صدق حقيقة عودتهم بحقائق خلقهم في الأرحام في مواضع كثيرة في القرآن.

٣ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالبعث

- ويبيّن الله للإنسان أنه ما عليك أيّها الإنسان إن كان بك شكّ حول إمكانيّة بعثك، فما عليك إلاّ أن تعود إلا طريقة خلقك الأولى من تراب ثمّ إلى تنطّفك، ثمّ ...، ثمّ ...ثمّ ... إلا أن تصير مضغة، وثمّ عندما حكم عليك الله بالتّخلّق أو الانتهاء، وساعتها ستعرف كيف ستُبعث، وفي ذلك يشرح الزّمخشريّ قوله سبحانه حول المضغة: كأنّ الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم، وتمامهم ونقصانهم، وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة(٢)، من أمثلة ذلك نجد قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا)(٣).

٤ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالإحياء

- ويحدث أن يقتنع الإنسان ببعثته نظريّا، لكنّه يعود وينكر البعث إذا نظر إلى الأموات كيف يزول عنهم اللحم والجلد ... فتتعرّى العظام ويذهب عصبها، وتنفصل عن بعضها، فيعود الله من جديد إلى ضرب الأمثال بالأرحام، وأنّ العظام التي أنشأها سابقا من نطفة خصيمة، ثمّ كساها لحما، وبثّ فيها الرّوح، يمكن أن يبثّ فيها الرّوح من جديد، ونجد ذلك في قوله سبحانه: (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ...)(٤).

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٦.

(٢) تفسير الكشاف/ الزمخشري ت ٥٣٨ هـ، موقع com.altafsir.ww

(٣) سورة الحج، الآية: ٥.

(٤) سورة ياسين، الآية: ٧٧- ٧٩.

٥ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالرّجوع إلى الله

– ويظلّ الله يشرح أمره للنّاس، فيُبسّط لهم كلّ ما أغلق عنهم في موضوع انبعاثهم، فيدلّل بطور من أطوار الخلق، وهو الطّور الذي يكون فيه الإنسان ماء دافقا، وانّه سبحانه قادر على استرجاعهم إليه ثانيّة، ومجد ذلك فيقوله سبحانه: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ)(١).

د - الكتب السّماويّة

١ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالكتب السّماويّة

– وكعادته سبحانه في إقناع النّاس؛ إذ يقدّم بالآيات الكونيّة والنّفسيّة، وهنا هو يقدّمها ليبرهن للعقول البشريّة أنّ الكتب السّماويّة مقدّس كبير لا بدّ من تقديره، ومنهاج عظيم لابدّ من تصديقه، ولذلك نجده سبحانه يشهر من جديد ذلك السّلاح الرّحميّ القويّ، في وجه مكذّبيّ وحيه في الكتب السّماويّة، فيجعل أطوار التّخلّق مقدّمة لتذكير المجادلين في آيات الله وكتابه، ونجد ذلك في قوله سبحانه: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا... (٦٧) ... أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)(٢).

٢ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالقرآن

–كلّ ما أمر الله به من الإيمان به وبرسله وكتبه... وتطبيق شرائعه، وكلّ ما نهى عن إتيانه من الشرك به وترك أوامره ...، كلّ هذا وغيره مذكور في آخر الكتب وخاتمها "القرآن"، وإذا صُدّق القرآن عُبد الله، وتحقّقت غاية الخلق، وإذا كُذّب القرآن سقطت تلك الغاية بين براثن الشّيطان، وتحقّق وعده لله بإغواء الجميع، كما نجد ذلك في قوله سبحانه: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢)إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(٣).

– وبالتّأكيد لن يسمح الله سبحانه للشيطان بذلك، ولذلك دعم كتابه الخاتم بتلك التّرسانة العقليّة الجدليّة القويّة، والمتمثّلة في ذكر تفصيلات خلقه في الأرحام منفردة، أو مع غيرها من الآيات الكونيّة لإثبات أنّ القرآن هو كلامه الصّحيح المنزّل من عنده، ونجد هذا في سورة الواقعة؛ إذ يبدو لقارئها

(١) سورة الطّارق، الآية: ٥– ٩.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٧– ٧٠.

(٣) سورة ص، الآية: ٨٢ ٨٣

في أوّل وهلة أنّها تتكلّم فقط عن اليوم الآخر وخيراته وأهواله ...، لكنّنا بعد أن نقرأ هذه الآيات: (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)(١).

وبعد استعراضه سبحانه لكثير من مصنوعاته العجيبة من أجل الإنسان، نجده يقسم أنّ القرآن كتابه المنزّل من عنده، وأنّه محفوظ من أن يقع في يد المحرفين والمزيّفين، وذاك في قوله سبحانه: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(٢).

د -التّكليف

– إذا فإنّه سبحانه يؤّكد إلزاميّة الانبعاث بسبب أن لا عبثيّة في أمر الله، ومادام قد خلق الإنسان بكلّ هذا التّدرّج في الخلق، وكلّ هذا التّوافق، فلابدّ أنّ للأمر غاية سيعاد بعثه من أجلها، ونجد ذلك في قوله سبحانه (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى)(٣)

– والآن وقد تمّ إقناع الله للنّاس، عبر ما يحدث في الأرحام، بوجوده، ووحدانيته، وبربوبيّته، وبنفي الشّبه عنه في الصّفات والأعمال ...، وتمّ التّدليل على صدقيّة الوحي والكتب والأنبياء، والبعث واليوم الآخر والجنّة والنّار، الآن صار هناك في نفس الإنسان المقتنع قاعدة، تجعل الوقت قد حان لإقناعهم بأنّ الإنسان مكلّف بأداء الأعمال الصّالحات، ومأمور بالانتهاء عن الأعمال الخبيثة.

– ولذلك يواصل سبحانه سياسة الإقناع والمقارعة بالحجج الدّامغة، وليس أقوى من حجّة الإنسان في نفسه، فيشرح له وضعه موحيا إليه ألاّ ينفي عن نفسه التّكليف تشبّها بغيره من المخلوقات الأرضيّة كالحيوان مثلا، والذي هو فعلا شُكّل في بطن أمّه مثله مثل الإنسان، وأيضا أخرج في أحسن صورة، ومع ذلك لم يكلّف مثل ما كُلّف الإنسان.

– ويشرح الله للإنسان سبب تكليفه بالاستخلاف دون غيره، وربط ذلك بالعبادة، وذلك لأنّه فعلا أخرجه من بطن أمّه لا يعلم شيئا، لكنّه قد جهّزه من قبل بجهاز الإدراك، فجعل الإنسان يعي ما يرى ويسمع، ويتعلمّ ممّا حوله، ويبدع، ولذلك أمره بأن يقرأ، ومن ثمّ كلّفه أكثر من غيره ونجد ذلك في قوله سبحانه: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ...)(٤).

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٥٧– ٥٩.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٧– ٨٠.

(٣) سورة القيامة، الآية: ٣٦– ٤٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ٧٨.

– ثمّ يواصل سبحانه استدراجه للإنسان بالاستدلال والاستنتاج في ما معناه؛ أن يا أيّها الإنسان ما دمت قد سمعت وبصرت، فاقرأ لتفقه وتدرك أنّه عليك أداء واجب العبادة بالشّكر، كما نجد ذلك في تتمّة قوله سبحانه: (... وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ...)(١).

١ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة المذكرة بالخوف من الله

– ويواصل سبحانه خطابه عبر الأرحام، ملطفا جوّ النّفوس بالرّبط بين أطوار الخلق في الأرحام وبين عظمته، فيدعوهم بذلك إلى عبادته، والخوف منه وتوقيره قائلا: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)(٢)

٢ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة الدّاعية لاجتناب الفواحش

– ويعدّ الله اللذين يجاهدون أنفسهم لاجتناب الكبائر بأنّه سيغفر لهم الصغائر لأنّه يعلم أنّه سبحانه لما كانوا أجنّة في بطون أمّهاتهم ألهم نفوسهم فجورها، وعندما أنشأهم أوّل مرّة لم يجعلهم ملائكة معصومون، وأنّ نفوسهم ميالة للخطيئة بطبيعتها، وليست مطالبة بالكمال، ولكن عليها تجنّب الكبائر، ونجد ذلك في قوله سبحانه: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)(٣).

٣ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة الدّاعيّة للمعروف

– ويطمئن سبحانه عباده ثانيّة بأنّه لن يضيّع عمل المحسنين، وأنّه أحصى أعمالهم جميعا في كتاب، كما خلق أطوار خلقهم وأحصاها، وكما أحصى ما تحمله كلّ أنثى أو تضع ...، ونجد ذلك في قوله سبحانه: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ...)(٤)

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٢) سورة نوح، الآية: ١٣– ١٤.

(٣) سورة النّجم، الآية: ٣٢.

(٤) سورة فاطر، الآية: ١٠– ١١.

٤ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة الدّاعيّة إلى طاعة الوالدين

- إنّ الله سبحانه يوصي ويشدّد في الوصيّة على طاعة الوالدين، عارضا كدليل على وجوب ذلك، ما تتحمّله تلك الرّحم الحاملة من مشقّة وعناء، ومنوّها بالمرافقة والحرص على رعاية تلك الرّحم التي يتحمّلها الزّوج، ونجد ذلك في قوله سبحانه:(١)

٥ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة الدّاعيّة إلى صلة الرّحم

- يرفع الله من شأن هذه الرّحم التي امتثلت لأمره، وكانت دليلا على وجوده، وسبيلا لأداء أوامره، وترك نواهيه، فينبّه النّاس أن يصلوا الأرحام التي بثّت الكثير من الخلق، ولذلك أكرمها بأن جعلها حكما يدخل الجنّة من سامحته، ويخرج منها من غضبت عليه، ونجد ذلك في قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)(٢).

٦ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة النّابذة للغرور الإنسان

- وبعد ما بدا على الإنسان كثير من العصيان والتّمرّد، يباشر الله تساؤلاته للناس حول عصيانهم، وهو الذي خلقهم في الأرحام، وخلق أخطاءهم، وركّبها ورتّبها بالشّكل الذي يريده هو، وبالشّكل الذي يرى هو سبحانه أنّها تصلح به، و عدّل خلقهم وسوّاه كما شاء، ونجد ذلك في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)(٣)، ثمّ يتعمّق التّساؤل أكثر في قوله سبحانه: (أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا)(٤).

هـ - النّهاية، الثّواب والعقاب

- لقد بدأ الآن العدّ التّنازليّ في حياة الإنسان، وحان وقت الثّواب والعقاب على ما كلّف الإنسان بعمله، وعلى ما نهي عن تركه، لأنّ الله كان قد قضى عمر الإنسان كلّه وهو يذكّره وعلّمه ويهديه إلى سبل الخير، وقبلها خلقه من مشيج حمّله السّمع والبصر والأفئدة، وترك الإنسان حرّ في اختيار معتقده، وسيعمل كلّ على شاكلته، وسيجازيه على ما عمل، لكنّ لأنّ الله صبور، فلن يتعجّل العقوبة،

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٢) النّساء، الآية: ١.

(٣) سورة الانفطار، الآية: ٧- ٨.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٣٧.

وسيمهل الإنسان وسيعيد تذكيره في جولة أخيرة، لكنّه سيكون تذكير أشدّ وأعنف ممّا كان عليه من قبل، ثمّ سينذره وينذره وسيعظّم له القول حتى يكون قد استوفى معه الحجّة.

١ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة المعظّمة من شأن الله، والمهوّنة من شأن الإنسان

- وهكذا يواصل سبحانه تنبيه عباده ليؤمنوا، ولينتهوا عن الجدل في آياته بغير علم، وذلك بتذكيرهم بضآلة حالهم، وأنّهم إذا أحسّوا بقوّتهم بعد كبرهم، ونسوا حال خلقهم في الأرحام، فلينظروا في ملكوته من سماوات وأراضين، وليقارنوا بين خلقها وخلقهم، ليعود إليهم رشدهم، فينتهوا عن الكبر الذي أبدا لن يمكّنهم الله منه، ونجد ذلك في قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(١).

٢ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالثّواب والعقاب

- ويبدأ سبحانه بتنبيهه للإنسان حول أنّ ذاك المخلوق الذي لم يكن له وجود ذات يوم، صار اليوم مكلّف فهو أمّا شاكر لأنعم الله، وإمّا كافرا بها، وأنّ هناك عقاب للعصاة الكافرين، وثواب للشّاكرين المتّقين، ونجد ذلك في قوله سبحانه: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا)(٢).

٣ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة باستحالة الهداية

- وفي النّهاية يعلن سبحانه انغلاق سبل التّوبة، واستحالة حدوثها، وذلك بتعطيل أجهزة التّعلّم التي أكرم الله سبحانه عباده بها، وهي السّمع والأبصار والأفئدة، فيغلق السّمع بالوقر، ويغلّف القلوب بالأكنّه، فلا يهتدي أهلها أبدا، وهذه المرّة هو لن يقدّم الهدايات الإعجازية، لأنّه لم يعد لها فائدة، ونجد ذلك في قوله سبحانه: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا)(٣).

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥٦- ٥٧.

(٢) سور ة الإنسان، الآية: ١- ٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٧.

٤ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة لاستحقاق العقوبة

- شارف المشوار على الانتهاء، ولم تعد هناك فرصة للتّوبة، فلقد استنفذت كلّ الحيل الدّعويّة، ولم يبقى إلاّ التّهديد والإنذار، فينذر الله عباده بأنّ العقوبة قد وجبت في حقّ المكذّبين، فانتبه أيّها الإنسان الضّعيف، لأنّك أصلا مخلوق من ماء مهين، وأنّ تكذيبك سيصيبك بالويل، فأنت أيّها المخلوق من ماء مهين تكذّب بالدّين، وتكذّب أنّ الله خالقك، وتكذّب الرّسالات والرّسل والكتب، وتكذّب باليوم الآخر والحساب والعقاب ...، وتترك من جرّاء ذلك الشّريعة، وترتكب المحرّمات وتفسد في الأرض، فويل للمكذّبين. ونجد مثل هذا التّقريع في مثل قوله سبحانه: (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)(١).

٥ - الهداية الإعجازيّة الرّحميّة لحدوث قتل نفس الكافر بكفره

- وبعد أن جاهر الكافر بكفره، وجاهر العاصيّ بعصيانه وتمرّده، و رفض فرص التّوبة، وارتضى لنفسه الكفر وعبادة الشّيطان، وفضّله عن عبادة خالقه الذي خلقه من لا شيء ثم من تراب ثمّ من نطفة، ثمّ يسّر له سبل الخروج ...، وبعد تقديمه سبحانه للحجج والبراهين الواحدة تلو الأخرى لإعادة هذا المارق إلى حضيرة الإيمان، وبعد التّعنّت والتّشبّث بالكفر، يعلن سبحانه موت الخير في هذا الضّعيف، والذي هو في الأصل مجرّد نطفة، ونجد ذلك في قوله سبحانه: (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ)(٢).

الخاتمة

- وهكذا من خلال السّلسلة الطّويلة لحقيقة خلق الإنسان في الأرحام، وأطواره المتفرّدة كلّ واحدة بما تحمل من عجائب الأعضاء والأجهزة، ووسائل الإدراك والتّعلّم و...، ومن خلال حلقات الخلق في هذه السّلسلة جعل الله عجيب هداياته الإعجازيّة الرّحميّة القرآنيّة، ليقنع بها خلقه بهدف خلقهم ولبّه "العبادة"، ويقودهم به إلى الجنّة من جديد، ويبعدهم عن النّار، وقد أتّبع في ذلك أسلوب التّدرّج العقلي كالآتي:

- استعمال الهدايات الرّحميّة للإقناع بواجب طلب العلم.
- واستعمال الهدايات الرّحميّة لإقناع النّاس بربوبيّة الله ووحدانيته، وتفرّد صفاته بالكمال.
-استعمال الهدايات الرّحميّة للإيمان بالرّسل والكتب، و للإقناع بصدق القرآن.
- استعمال الهدايات الرّحميّة للتأكيد على إحياء الموتى وبعثهم من جديد ورجوعهم إلى الله.

---

(١) سورة المرسلات، الآية: ٢٠- ٢٤.

(٢) سورة عبس، الآية: ١٧- ٢٠.

– استعمال الهدايات الرّحميّة لتكليف الإنسان بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والقيام بأعمال الخير، وترك الشّرك والكبر.

– استعمال الهدايات الرّحميّة إنذار النّاس أنّ النّهاية قريبة، وأنّ الله قد ترك الحرّيّة لمن أراد أن يتوب كي يتوب، وهو يبشّر بالجنّة من يعود إليه، ويجتنب الكبائر.

– استعمال الهدايات الرّحميّة لتّأكيد على أنّه رغم ما قدّم الله من نعم ووسائل إقناع، انغلق سمع وبصر الكافر، وقتل نفسه بكفره، واستحقّ العذاب.

محتويات البحث

المقدّمة.....١

معنى الهداية.....٢

أ- البداية، التّدبّر والتّعقّل.....٢

١– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة الدّاعية إلى طلب العلم.....٣

٢– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة الدّاعية إلى تفعيل العقل وتعقّل المحيط.....٣

ب– الإلهيات.....٣

١– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة لتوحيد الذّات الإلاهيّة.....٤

٢– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالرّبوبيّة.....٥

٣– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة لتوحيد الصّفات الإلاهيّة.....٥

٤– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بهيمنة الله العلميّة.....٥

ج– النّبوّات.....٦

١– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالأنبياء والرّسل.....٦

٢– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان باليوم الآخر.....٧

٣– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالبعث.....٧

٤– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالإحياء.....٧

٥– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالرّجوع إلى الله.....٨

د– الكتب السّماويّة.....٨

١– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالكتب السّماويّة.....٨

٢– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالقرآن.....٨

د– التّكليف.....٩

١– الهداية الإعجازيّة الرّحميّة المذكرة بالخوف من الله.....١٠

٢- الهداية الإعجازيّة الرّحميّة الدّاعية لاجتناب الفواحش ١٠
٣- الهداية الإعجازيّة الرّحميّة الدّاعيّة للمعروف..... ١٠
٤- الهداية الإعجازيّة الرّحميّة الدّاعيّة إلى طاعة الوالدين ١١
٥- الهداية الإعجازيّة الرّحميّة الدّاعيّة إلى صلة الرّحم ١١
٦- الهداية الإعجازيّة الرّحميّة النّابذة للغرور الإنسان ١١
هـ- النّهاية، الثّواب والعقاب..... ١١
١- الهداية الإعجازيّة الرّحميّة المعظّمة من شأن الله، والمهوّنة من شأن الإنسان..... ١٢
٢- الهداية الإعجازيّة الرّحميّة للإيمان بالثّواب والعقاب ١٢
٣- الهداية الإعجازيّة الرّحميّة باستحالة الهداية ١٢
٤- الهداية الإعجازيّة الرّحميّة لاستحقاق العقوبة ١٣
٥- الهداية الإعجازيّة الرّحميّة لحدوث قتل نفس الكافر بكفره..... ١٣
الخاتمة ١٣
محتويات البحث ١٤